

التحليل السوسولوجي في البحوث الاجتماعية

Sociological Analysis In Social Research

بوزار ربيحة دينارزد¹Bouzare Rebiha Dinarzed¹¹جامعة زيان عاشور (الجزائر)، rebihadinarzed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/09 تاريخ القبول: 2020/10/18 تاريخ النشر: 2020/12/27

الملخص: إن عملية التحليل السوسولوجي عملية مركبة تجمع بين القدرتين: القدرة على فهم المادة المدروسة و ما يحيط بها من أنساق معرفية، ثم القدرة على التعبير عن المعارف المستنبطة و المستنتجة بلغة علمية موضوعية سليمة، يسعى من خلالها الباحث إلى الكشف عن أسباب الظاهرة المدروسة و رسم إحداثياتها التي تساهم في فهم معطياتها . و تتضح أهمية التحليل السوسولوجي في البحوث الاجتماعية، إذا اتضح لنا أنها عملية تُرافق الباحث و تسير إلى جواره منذ لحظة اختيار الموضوع إلى مرحلة تحرير النتائج النهائية، و عليه فهو آلية لها خصوصيتها من حيث كونها وليدة تخصص علمي و قراءات متعددة و نظرية مُؤسَّسة و مفاهيم دقيقة و متخصصة، تجتمع جميعها في ذهن الباحث و تنتقل إلى جانبه في رحلته الميدانية، فتتمو اعتمادا على دراسة الباحث للواقع دراسة موضوعية، ما يُعزِّز فيه - التحليل السوسولوجي - بصمة الباحث و قدرته على التحكم في آليات بحثه ضمن المنهج المطلوب، ليدفع به الباحث بعد ذلك و قد وُصِّمَ بشخصه و منطقته و قدرته على التحليل و البرهنة و النقد، ما يجعل لكل تحليل سوسولوجي خصوصيةً و تفرُّداً من باحث إلى آخر و من دراسة أكاديمية إلى أخرى و إن صَبَّت في الموضوع نفسه .

هذا و قد يجهل العديد من الطلبة ما لهذه الآلية من أهمية و قدرة كبيرة على بناء بحث قوي و متميز، فحيث ينطلق الباحث من حيث انتهى غيره لِيُقَدِّمَ للعالم فهماً جديداً للظاهرة المدروسة أو تصوراً مخالفاً للمواضيع، سبيله الأوحَد إلى ذلك يعتمد على تأسيس تحليل سوسولوجي قوي و سليم .

- **الكلمات المفتاحية:** التحليل، التحليل السوسولوجي، البحث الاجتماعي، إنتاج المعرفة.

Abstract : The sociological analysis is a compound process which combines two capabilities the ability to understand the material studies and what surrounds it in cognitive coordination, then the ability to express knowledge inferred and inferred in the language of sound objective process the researcher seeks through it disclosure of the studies causes and map their coordinates that contributes to understand its data.

المؤلف المرسل: بوزار ربيحة دينارزد، الإيميل: rebihadinarzed@gmail.com

And the importance of the sociological analysis appears in the social research that it becomes clear to us that it is a process that accompanies the researcher and walk next to him since the moment of choosing the topic to the stage of editing the final results. Therefore, it is a mechanism that has its peculiarities in terms of being the product of scientific specialization and multiple readings and the freshness of an institution and precise and specialized concepts all meet in the mind of the researcher and she moved to his side on his field trip it grows depending on the researcher's study what we reinforce it in the social analysis the fingerprints of the researcher and his ability to control the mechanism of his research within the required curriculum for the researcher to pay him after that and he was stigmatized to his logical and his ability to analyse and proof and criticism what makes for every sociological analysis privacy and uniqueness from one researcher to another and from academic study to another whatever it poured into the same topic.

This may ignore many students what may be the importance for this mechanism and great capacity to do a strong and featured research. Where the researcher starts from the others endings to provide the world with a new understanding of the studied phenomenon or a concept contrary to the topics its only way to do so depends how to establish a strong and sound analysis.

KEYWORDS : The Analysis, Sociological Analysis, The Social research, Knowledge Production .

مقدمة :

يتأسس كل بحث اجتماعي على قاعدة معرفية تتضمن نمطين من المعارف: المعارف النظرية التي يستغلها الباحث في بناء البحث و معارف مستحدثة تجدد ولادتها عند كل تحليل للنتائج المتوصل إليها. فأما المعرفة النظرية المعتمدة عند البناء و التأصيل للبحث، فهي عادة معارف ازدواجية المنحى، منها ما هو تأصيلي نظري قامت عليه المعرفة بطريقة تراكمية، و منها ما هو معاصر وأكبر التحولات المجتمعية الجديدة بما عرفته من تطورات و عايشته من تغيرات، و كنموذج تمثيلي نذكر أنه عند كل دراسة لظاهرة الانتحار لابد و أن ينطلق صاحبها أو يحيط بخبر معارف تأصيلية تقليدية لا يكاد أي بحث اجتماعي يجيد عنها، منها الدراسة الاجتماعية التي قام بها أبو السوسيولوجيا إميل دوركايم **Emile Durkheim**،

و إلى جانب هذه الدراسة الأم نجد العديد من الدراسات المعاصرة التي واكبت مختلف التغيرات الاجتماعية، بل و خصوصية كل مجتمع في نظرتة و تعامله مع هذه الظاهرة .

ثم نُحلُّ المعلومات المستحدثة و هي تلك التي سيدفع بها البحث المنجز إلى الوجود، حيث أن هذا الأخير و إن كان قد أسس انطلاقه على ما سبقه من معارف و نظريات، فإن المشكلة المدروسة أو الظاهرة المعالجة حتما ستأتي بتحليلات و معلومات جديدة حول الموضوع المدروس. و عليه عند البدء بأي تحليل للنتائج المتوصل إليها من قبل الباحث لابد و أن يطرح هذا الأخير على ذاته سؤالين مهمين هما:

- ما هي المكتسبات المعرفية التي تمكّنت منها من خلال عمليات البحث المختلفة و القراءات السابقة لمجال البحث عن كل أبعاد و مؤشرات و متغيرات البحث المختلفة ؟
- ثم ما هي المعارف الجديدة و التفاصيل الخاصة التي سأضيفها على المعارف السابقة، و التي قد تأتي مُكمّلة أو مُنافية لها، أو ذات منظور جديد وَجد له ولادة ضمن ظاهرة من الظواهر المدروسة وفقا لخصوصية المعطيات المجتمعية التي تختلف بدورها من مجتمع إلى آخر ؟

- التأسيس للعلميّة في البحث الاجتماعي :

بعد ضبط إشكالية البحث، و تصميم هيكلته من فرضيات و مفاهيم، و استدراك أبعاده الميدانية من منهج و أدوات، يبقى على الباحث استغلال تكوينه النظري و تجربته الشخصية، و لابد هنا أن نشير إلى أن الباحث لا يعتمد في خطوات بحثه المختلفة على استغلال المعارف النظرية المختلفة التي قد يكون

غيره قد استغلها بدوره، و لكن لابد من اعتماد نظرة جديدة لهذه المعارف المشتركة ، فالمعارف ذاتها يُنظر إليها من وجهات نظر تختلف من باحث إلى آخر و من تخصص إلى آخر، و وفق قدرة نقدية و أخرى .

و يرى **ريمون كيفي** أن كل باحث يستطيع أن يُحرز تقدما ذاتيا في القدرة على تحليل الظواهر الاجتماعية و ذلك من خلال تقويم بعدي لعمله النظري الخاص ، و يأخذ هذا التقويم اتجاهين متكاملين :

(كيفي و فان كمبنهود، 1997، 287 بتصرف) .

الاتجاه الأول : يسبق نموذج التحليل و يتناول ملائمة الإشكالية، من حيث قدرتها على إتاحة جوانب قلما كانت معروفة في الظاهرة المدروسة ، ثم قدرتها على تبني معارف جديدة و تجريبية أمرا ممكنا.

الاتجاه الثاني : قدرة الهيكلية البحثية المعتمدة من فرضيات و متغيرات و أبعاد و مؤشرات على الانتهاج التحليلي السليم الذي لا يمتاز بالتعسف.

و لأن استنتاجات البحث تبقى هي الأساس لكل هذه العمليات، كان لابد من أن تشمل من القوة و الإقناع و العلمية ما يؤهلها لأن تكون نتاجا علميا و معرفيا جديدا، و كل هذا يبني انطلاقا من دراسة النتائج دراسة سوسيولوجية تحيطها الدقة و المصداقية، و يضمها قوسان مهمان هما : المعارف العلمية السابقة المستخدمة لبناء أو التقديم للمعارف العلمية اللاحقة التي سيكون سردها المعرفي هو التحليل السوسيولوجي، الذي سيكون بدوره الأساس كذلك في عمليات الاستنتاجات المختلفة ، هذه الأخيرة التي لا تتسم في العلوم الاجتماعية و الإنسانية بالدقة التي تمتلكها العلوم التجريبية ، لذلك فإن مصداقية التحليل السوسيولوجي وَقَفَّ على دقة الهيكلية البحثية ككل ، ثم لابد و أن نوضح ضمن هذا المنظور أنه

حتى المعارف الجديدة المتوصل إليها تبقى حكرًا للتفنيد، إذ قابليتها أو عدمها وقف الفهم الذي يتغير من فرد إلى آخر و من حقل زمني إلى آخر.

و في هذا الإطار يُذكرنا ريمون كيفي و لوك قان كمبنهود في كتابهما دليل الباحث في العلوم الاجتماعية (1997) بأهمية النأي عن الأحكام المسبقة للمعارف الشائعة، ثم التأكيد على التزام الإشكالية و عدم الحياد عنها حتى يكون إسهامه في بناء المعارف الجديدة من النوع التصحيح.

- مفهوم التحليل السوسولوجي :

أ - التحليل : التحليل لغة : عملية تقسيم الكلّ إلى أجزائه، أو هو تحديد الأسباب المحتملة للمشاكل المدروسة. (معجم المعاني الجامع) .

ب - التحليل السوسولوجي :

يشير التحليل إلى عمليات تجزئة الكل إلى مكوناته البسيطة في مقابل التركيب الذي يعنى إعادة بناء الأجزاء في وحدات كلية. و هذا يمكن الباحث من فصل عناصر الظاهرة الجوهرية و تمييزها عن تلك العناصر المرضية، كما يحدد العناصر الأساسية و يفصلها عن الفرعية، ما يمكنه من معرفة العلاقات القائمة بين الأجزاء المختلفة للظاهرة. (بدر إبراهيم، 2003، 16 - 17 بتصرف)

و التحليل السوسولوجي عملية تركيبية لمختلف أبعاد الظاهرة الميدانية و النظرية، و هو عملية شرح لمختلف أبعاد الظاهرة و أسبابها و انعكاساتها تهدف إلى البحث بكل موضوعية عن الأسباب الخفية للظاهرة، تلك التي لا يراها إلا المختصون. و يكون التحليل السوسولوجي نظريا بحثا أو تجريبيا أو يجمع

بین النظري و التطبيقي، و يمكن أن يكتفي بوصف حالات واقعية كما وردت في الواقع الذي عبّر عنه
المبحوثون كما يعيشونه في حياتهم اليومية. (قاسيمي، 2017، 09 بتصرف) .

و عليه يُعتمد التحليل السوسيولوجي ضمن المنهج أو المناهج المختارة في البحث، بحيث يهتم
بالوصف و المقارنة و تحليل المحتويات للكشف عن الجزئيات المختلفة قصد إعادة بنائها في استنتاجات
كلية تفسر الظاهرة محل البحث .

و لتفسير مصطلحية " السوسيولوجية " لابد و أن نشير إلى أن استخدام طريقة التفكير العلمي تؤدي
إلى نظريات و قوانين علمية، لا يمكن فهمها و التوصل إليها بدون فرضيات تشكل المادة الأساسية لهذه
النظريات و القوانين، انطلاقاً من أن الفرضية هي مجموعة من الأفكار و الآراء و المفاهيم غير المبرهنة و
غير المعززة بالحجج و الدلائل الإحصائية، فهي جواب مقترح قد تثبت صحته، و قد يكون خاطئاً
يستوجب الإهمال. و لأن العلوم الاجتماعية و الإنسانية لا تتمتع بالدقة التي تتمتع بها العلوم الطبيعية
لأنها لم تتمكن حتى الآن من اكتشاف القوانين السببية الثابتة التي من خلالها نستطيع تفسير الوقائع
والأحداث و الظواهر الاجتماعية ، و يعود هذا إلى صعوبة الحقل الدراسي الذي هو المجتمع و الإنسان و
هذا لانفتاح الحقل الإنساني على التفاعل مع العديد من المتغيرات المتشابكة. (عبد الغني، 2002،

14-13 بتصرف)

و لأن تفسير الظواهر العلمية مرتبط بمبدأ الحتمية الذي يعتبر أن لكل حدث سبب، و الأسباب
نفسها إذا أتاحت لها نفس الشروط ستنتج حتماً الأحداث نفسها، مما ينطوي على وجود قوانين خاصة
ترتبط الوقائع بالأسباب المقدرة لها، هي الحتمية ذاتها التي طرحت في العلوم الاجتماعية نقاشات موسعة

وذلك منذ نشأة هذا العلم، حيث أصبحت هذه الحتمية احتمالية في العلوم الاجتماعية، و عليه دراسة الأسباب و النتائج في العلوم الاجتماعية يمكن أن تؤدي إلى قوانين اجتماعية ، ليست بالضرورة حتمية الوقوع، و عليه أصبحت صرامة القوانين الاجتماعية محدودة بنسبتها، و هي نادرا ما تكون مطلقة وعالمية ، لأنها نسبية في معظمها. (عبد الغني، 2002، 15 بتصرف)

و على هذا لابد و أن يتمتع التحليل السوسيولوجي بالموضوعية اللازمة التي تتطلبها صفة العلمية، والتي تستدعي الابتعاد عن الأفكار السابقة التي اكتسبها الفرد من مجرد سماع الإشاعات أو الملاحظة العادية لهذه الظاهرة الاجتماعية، تلك المبنية على المرجعية الثقافية – إن صح القول – و الآراء الشائعة .

و التحليل السوسيولوجي في كل دراسة هو التمهيد و التحليل و تفسير المعطيات المختلفة بناء على المنهج والأدوات المختارة من أجل حل المشكل المطروح عند الدراسة، هذه الأخيرة التي يستوجب حلُّها بناءً على الربط بين المعطيات المعرفية و النظرية التراكمية من جهة و المعرفة المحصل عليها ميدانيا بناءً على الواقع الشاهد على هذه الظاهرة .

ويرى **عماد عبد الغني** أن التحليل السوسيولوجي للمعطيات و البيانات الإحصائية خطوة موضوعية نحو التعميم ، وعن طريقه يمكن للباحث أن يبين العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة و العلاقات التي تربطها بغيرها من الظواهر ، وعليه بدون هذا التفسير تصبح المعطيات مجرد تجميع لمعلومات لا معنى لها إن تحويل الرقم أو المعطى الإحصائي إلى معطى معرفي و اجتماعي محدد يستهدف معالجة إشكالية البحث و اختبار فرضياته، و ينقل البحث من الحالة الوصفية إلى الحالة التفسيرية أو التعليلية، و يتطلب

منه هذا ثقافة معمقة في الدراسة التي يقوم بها على مستويها النظري والمنهجي، ثم مقارنة ما توصل إليه مع

نتائج الدراسات السابقة المشابهة لتأكيد نتائجها أو مخالفتها . (عبد الغني، 2002، 115 بتصرف)

و يتطلب تحليل الظاهرة التعامل بمعطياتها لا معطيات خارجة عنها، و عليه لابد من التركيز على متغيرات الظاهرة و تبيان المستقل منها و التابع ، و آثار كل منهما، و عليه فالتحليل عملية عقلية تستند إلى معطيات تستهدف معرفة طبيعة المشكلة و العوامل المؤثرة فيها، و هو حلقة وصل تربط بين مرحلة تجميع المعلومات و البيانات و مرحلة الوصول إلى النتائج . (عبد الغني، 2002، 116)

و يؤكد موريس أنجروس أن التحلي بروح التحليل لا تقتصر على مرحلة التحليل فقط، و لكنها تمتد لتشمل كل المراحل و الخطوات السابقة، ذلك أننا نقوم و منذ البداية بتجزئة البحث إلى مراحل، كما نقوم بتجزئة الفرضية إلى حدودها الأساسية، و يظهر كذلك أثناء ترتيب المعطيات و تهيئتها، و عليه يتعلق الأمر بالاستعداد إلى تجزئة الواقع إلى علاقات سببية أو تبعية متبادلة بين المتغيرات. (أنجروس، 2006،

(422)

و عليه فإن التحليل السوسيولوجي لا يكتفي بملاحظة أو إثبات علاقة بين متغيرين من الناحية الإحصائية، بل يريد معرفة ما الذي جعل إمكانية قيام هذه العلاقة، أي هو المسعى الذي يبحث عن المعاني و الدلالات السوسيولوجية التي تحملها العلاقات، فالنتائج الكمية لا معنى لها إلا إذا قُرنت بالتحليل السوسيولوجي. و هذا التحليل لا يرتبط بشروط أو إجراءات منهجية و لكنه مرتبط بما يعرف مع شارل ورايت ميلز Charles Wright Mills " الخيال السوسيولوجي " الذي قد يتمتع به الباحث، و هنا تظهر أهمية القراءات في البحث السوسيولوجي، فهذه القراءات هي التي تزود الباحث

بتلك الثقافة السوسيولوجية التي تسمح له بإدراك المداخل المتعددة للظاهرة التي يدرسها، من منطلق قاعدة " تفسير الاجتماعي بالاجتماعي " ما أكده إميل دوركايم **Emile Durkheim** بقوله : " لقد بينا أنه لا يمكن أن نفسر ظاهرة اجتماعية ما إلا بظاهرة اجتماعية أخرى ... و أن الشعور بالطابع الخاص للواقع الاجتماعي هو جد ضروري لعالم الاجتماع، مما يجعل من الضرورة تمتعه بثقافة سوسيولوجية من شأنها أن تؤهله لفهم الظواهر الاجتماعية أمرا أساسيا "، و منه يحتاج الباحث للرأسمال الثقافي المفاهيمي السوسيولوجي، الذي يجب أن يعرف كيفية توظيفه من خلال تحليل البيانات و الاستشهاد بالمقولات السوسيولوجية عن هذه البيانات ، لينتقل بذلك من الوصف إلى التحليل القائم على الخطاب السوسيولوجي. (سبعون،2012، 267-269 بتصرف)

- عناصر التحليل :

لقد عدد عماد عبد الغني عناصر التحليل و التفسير التي يقوم عليها التحليل السوسيولوجي بوصفه تحليلا علميا ، وذكرها كما يلي : (عبد الغني،2002، 116-119 بتصرف)

- الكشف بالظاهر و الكامن: ذلك أن الكثير من الظواهر تحتاج إلى توضيح، فالإنسان مثلا كشكل يصعب الحكم عليه بأنه خَيْر أو شرير إلا بعد قيامه بسلوك أو أفعال يمكن قياسها و مقارنتها.

- الشك: و هو عملية عقلية ضرورية للتحليل، و هي تتم بشكل واع بهدف البحث و التقصي والتتبع الدقيق للمسببات، و يستمر الشك العلمي إلى أن يصل الباحث إلى الثقة في المعلومات التي توصل إليها و النتائج التي أثبتتها التحليل العلمي.

- **الاحتواء على السابق:** أي الانطلاق من الماضي من أصل الظاهرة في تفسير حاضرها قصد

الانطلاق نحو المستقبل، من خلال رصد سيرورتها و تطوراتها.

- **الاتصال و التواصل:** و ذلك من خلال عمليات الانتقال من الكل إلى الجزء و العكس قصد

التعرف على الأسباب و المسببات الكامنة و الظاهرة قصد تفسير ملائم لها.

- **المقارنة:** و تبنى المقارنة بين المجرد و المجرد، و بين المحسوس و المحسوس و بين الشاهد و الشاهد مع

مراعاة الظرف الزماني و المكاني عند تحليل المعلومات و البيانات، فما هو مقبول و منطقي في مكان من

الأمكنة و في زمن من الأزمنة قد لا يكون كذلك في مكان و زمان آخر، و عند المقارنة يجب مراعاة أن

كل نوع لا يقارن إلا بنوعه أو جنسه، فالعادات و التقاليد تقارن بمثلها و كذلك الموضوع يقارن بمثله.

هذا و يتطلب التحليل السوسيولوجي التحكم في المصطلحات و المفاهيم المتخصصة - ذلك أن

الاستخدام العشوائي للمفاهيم خارج نطاق التخصص أو خارج نطاق التعريف الوظيفي أو الإجرائي الذي

تضعه النظرية المؤسسة للمفهوم يؤثر سلبا في توجه البحث و قيمته - و القدرة على توظيفها توظيفا

دقيقا، ما يستبعد بالضرورة الخطابات الأدبية التي تتحرى البيان في وصف الظاهرة المطلوبة، فاللغة العلمية

الدقيقة شرط مهم في بناء التحليل، منطلقا من متغيرات الدراسة مستشهدا بالمعارف السابقة تارة و بما

توصلت إليه نتائج الدراسة الميدانية من معطيات أخرى تارة ثانية .

- أنواع التحليل :

لقد جعل موريس أنجوس في كتابه " منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية " عملية التحليل بمثابة حركة للفكر، تلك التي تفحص كل ظاهرة بهدف استخراج النتائج الدالة بالنسبة إلى مشكلة البحث. و ذكر أنواع التحليل والتي جعلها أربعة أصناف كالتالي : (أنجوس، 2006، 423)

- التحليل الوصفي: و يتضمن حوصلة عن كل واحدة من مركبات الواقع المدروس، و الفرضية التي تتناسب بشكل خاص مع هذا النوع هي الفرضية أحادية التغير ، و عليه فهو تحليل يهدف إلى عرض مفصل عن الموضوع.

- التحليل التفسيري: تحليل يهدف إلى وضع عناصر الموضوع في علاقة ببعضها البعض.

- تحليل فهمي: تحليل يهدف إلى فهم الواقع من خلال معاني يعطيها الأفراد لتصرفاتهم.

- تحليل تصنيفي: تحليل يهدف إلى جمع الظواهر أو عناصر الواقع حسب مقاييس متنوعة ، كإقامة أنواع من السلوك.

و عليه فالتحليل إنما يدل على القيام و بالتناوب بعمليات : الوصف و التصنيف و التفسير والفهم وهذا ما يتطابق مع أهداف العلم نفسها ، و يمكننا الاعتماد على نوع واحد من التحليل، كما يمكننا الاعتماد على أكثر من نوع و هو الأجدى في البحث العلمي عادة إذ نبحث عن الوصف و التفسير.

و يمكننا التنويه ضمن هذا المدخل إلى أن كل خطأ يقع فيه الباحث قد يؤثر على صحة التحليل

السوسيولوجي، ومن الأخطاء التي ذكرها موريس أنجوس: (أنجوس، 2006، 427-429 بتصرف)

- الخطأ المتعلق بالظروف المادية: عندما يقدم المخبر معلومات سيئة ، عدم تطابق الاختبار الإحصائي المنتقى مع أنواع المتغيرات الموضوعة، عندما تشكو المعاينة من نقص الأفراد، عندما لا تجرى المقابلة في أحسن الشروط، عندما يتم فحص الوثائق بطريقة سيئة، عندما تكون إحدى المعلومات غير مؤكدة ...

- الخطأ النسبي: و يكون عندما يتم أخذ معلومة ما في غير معناها و مقصدها الحقيقي، كأن يتم استجواب فرد بمفرده أو ضمن مجموعة ، فقد تختلف إجابته وفقا للموقف الذي يجد نفسه فيه.

- خطأ التأويل: تقع في هذا الخطأ إذا استنتجنا من المعطيات أشياء لا تدل عليها، و هنا نؤكد على أنه لا يجب المبالغة في التوافق بحكم أن النتائج جاءت مسيطرة للنظرية التي تم الانطلاق منها ، ذلك لأن الواقع أكثر تعقيدا.

- خطأ التقرير الموجز: و هو خطأ يعود إلى عدم أخذ بعين الاعتبار خصائص المخبرين و ظروف البحث، و مثال ذلك البحوث ذات المواضيع الحساسة كالجنس التي تستدعي مشاركة كبيرة ، و لكن نظرا لحساسية الموضوع لا يمكن إيجاد المتطوعين بسهولة، هنا لابد من التأكد من دقة المعلومات المحصل عليها قبل التعميم.

هذا و يميل ريمون بودون **Raymond Boudon** ضمن منهجه الفردانية المنهجية **Individuisme méthodologique** إلى طريقة تهدف إلى تفسير الظواهر الاجتماعية على مرحلتين مرتبطتين عضويا: مرحلة تفسير تثبيت من خلالها أن هذه الظواهر الاجتماعية هي محصلة

عملية إدماج أو تجميع لأفعال فردية، و مرحلة فهم تتلخص بإدراك معنى هذه الأفعال، أي إيجاد الأسباب

الوجيهة التي دعت الفاعلين للقيام بها. (بودون وفيول، 2010، 55)

- المقاربات النظرية للتحليل السوسيولوجي :

هناك علاقة وطيدة و أكيدة بين موضوع البحث و المقاربة أو المقاربات النظرية المعتمدة في البحث الاجتماعي ، وتظهر العلاقة متينة أيضا بين المقاربة النظرية المعتمدة و التحليل السوسيولوجي، بحيث يقوم هذا الأخير على المعطيات المعرفية و يتأسس وفق المفاهيم الاصطلاحية في إطار النظرية المرجعية و يتطلب هذا معرفة الباحث المعمقة بأصول النظرية و توجهاتها و المفاهيم التي وُلدت في كنف كل رائد من روادها حتى يتمكن من توظيفها توظيفا سليما، و للباحث أن ينتقد التوجهات النظرية و المفاهيم الاصطلاحية في ظل ما توصل إليه من نتائج وفق الأنساق التحليلية التي اعتمدها.

- أساليب التحليل السوسيولوجي :

يمكن أن يكون التحليل كميًا أو كيفيًا أو يجمع بينهما معا:

أ - الأسلوب الكيفي: يرى تايلور **Taylor** أن الاتجاه الكيفي هو المنطق الخاص بالاكشاف والتعديل (بدر إبراهيم، 2003، 22). و بهذا يهدف البحث الاجتماعي النوعي إلى مساعدة الباحثين في تفسير و فهم: الأسباب التي دفعت الفاعلين إلى القيم بأفعالهم الاجتماعية. الطريقة التي يبنون بها حياتهم و المعاني التي يطلقونها على جوانب حياتهم المختلفة و السياق الاجتماعي للعمل الاجتماعي.

(سوتيربوس سارانتاكوس، 2017، 119)

و القول بالدراسة الكيفية لا ينفي إطلاق الموضوعية، ذلك أنها تقوم على أدوات علمية تضمن قياس المتغيرات بطريقة دقيقة. و يُجرى التحليل النوعي وفق مراحل البحث المختلفة، و ذلك باعتماد تقنيات الملاحظة و المقابلة و الحوار والمناقشة و تحليل الأحداث و المواقف و الوثائق ... أثناء و بعد عمليات جمع المعلومات و ذلك قصد فهم أعمق لهذه البيانات و التمكن من الوصول إلى أكثر الاستنتاجات صدقاً ودقةً، وقد يقوم الباحث بتحليل المعطى أثناء جمع البيانات و يعتمد الملاحظات و التحليلات التي توصل إليها في هذه المرحلة بحيث تكون مرشده في الوصول إلى النتائج النهائية للبحث بعد التأكد من صحتها.

ب - الأسلوب الكمي: يستند هذا الأسلوب إلى العرض الإحصائي للمعطيات الميدانية في صيغ مختلفة، تعبر عن متغيرات الدراسة بطريقة صادقة و موضوعية، و تُعتبر المعطيات الإحصائية أدوات قياس مهمة في الدراسات السوسولوجية بحيث تعطي الصبغة العلمية للنتائج، و تزداد أهميتها إذا تحكم الباحث في تحليلها و كشف أبعادها وربطها بالفرضيات، كما تزداد أهمية التحليل إذا استكملناه بالتحليل الكيفي، ما يساهم في الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم، قد تصاغ في شكل قوانين تدعم بقوة فرضيات الدراسة أو تنفيها فتجعلنا نفكر بالضرورة في فروض أخرى. (قاسمي، 2017، 49 - 50 بتصرف)

و عليه تبقى هذه المعطيات الإحصائية على أهميتها دون معنى بدون تحليل سوسولوجي، فترجمة الشاهد الرقمي إلى تفسير ينطق بما هو عليه الواقع في ضوء خبرة الباحث الميدانية هو أصل التحليل السوسولوجي، على أننا نذكر أنه لا وجود لمنهجية ثابتة و موحدة في بناء هذا التحليل، و لكنه عملية تعكس مهارة الباحث على الملاحظة و الفهم و الربط والنقد ، و قدرته على ربط المعارف النظرية بمدركات

الواقع " ، و يوصف هذا الفن بأنه الانتقال من الميدان إلى النص إلى القارئ " . (بدر إبراهيم، 2003،

(568

و يستهدف التحليل ضمن هذا المستوى الكشف عن العلاقات القائمة بين متغيرات الدراسة وفق التوجه الوضعي الذي تتطلبه العلوم الاجتماعية، و يبقى على الباحث اعتماد نظرة ناقدة للمعطى الإحصائي مفسرا و محللا الزخم الرقمي و المعرفي الذي توصل إليه نتيجة القراءات المختلفة و النتائج المحصل عليها من الدراسة الميدانية التي قام بها.

و من مميزات المنهجية الكمية أنها تنظر إلى الواقع بوصفه شيئا موضوعيا و بسيطا و ثابتا ... واقع مستقل عن الوعي الإنساني، و يركز على نظام تحكمه قوانين طبيعة صارمة و ثابتة، تساعد في التحكم بمخرجات الفعل البشري و التنبؤ بها. (سوتيريوس سارانتاكوس، 2017، 104)

و من هنا يعتبر المستوى الكمي الأداة التي تسمح للباحث بدراسة الظواهر و تحري العلاقات بينها قصد اكتشاف القوانين العامة التي تفسرها و تضبطها و تتنبؤ بها.

- مستويات التحليل السوسيولوجي :

مخطئ من يعتقد أن التحليل السوسيولوجي هو الخطة النهائية ضمن مراحل البحث، هدفها ترجمة المعطى الإحصائي إلى نتائج أدبية، فالتحليل السوسيولوجي آلية ترافق الباحث لتسير جنباً إلى جنب كل مراحل البحث، و من أهمها الدراسة الاستطلاعية التي تعتبر خطوة مهمة لبناء التحليل، ذلك أن الدراسة الاستطلاعية هي المرحلة التي تبنى على أساس معطياتها أسس البحث من عينة و مناهج و أدوات، و هي التي تضبط من خلالها المتغيرات و المؤشرات فتحدد نوع المعرفة و القراءات التي سيتوجه نحوها الباحث

وهي الخطوة التي تمكن الباحث من إيقان وجود المشكلة من عدمه استنادا على الواقع ، و عليه و كما ذهب إليه الأستاذ ناصر قاسيمي : " التفكير الجيد و المطول في المرحلة الاستكشافية يجعلنا ننتبه إلى الأبعاد المختلفة للدراسة ، و يعني التفكير أيضا إشراك الآخرين في موضوعنا حتى تتعدد أبعاد الدراسة و نتعرف على صعوباتها و نتعرف على خياراتنا الإستراتيجية ... فهي تقوم على توسيع منظورات التحليل و الاطلاع على أفكار المؤلفين، و تبرز زوايا من المسألة ما يتيح للباحث أن ينتبه لها بمفرده " .

(قاسيمي، 2017، 26 بتصرف)

ثم تعطينا الإشكالية الآفاق الأولية للتحليل بتحديد مجالات البحث الأساسية، اعتمادا على جملة من المفاهيم المنسجمة و المبنية عقلانيا و التي تعبر عن خيارات نظرية معينة أو أكثر فتعطينا فكرة عن نموذج التحليل الذي تتبناه الدراسة (قاسيمي، 2017، 36 بتصرف). كما يرتبط نموذج التحليل بالفرضيات، إذ كلما اتضحت مفاهيم هذه الأخيرة و أبعادها و مكوناتها و مؤشرات اتضح نموذج التحليل و زادت دقته و إحاطته بالظاهرة . (قاسيمي، 2017، 37 بتصرف)

و لأنه سبق و أن ذكرنا أن التحليل يرافق مراحل البحث أجمعها نجد أن الاختيار السليم لعينة البحث بحجمها وخصائصها النفسية و الاجتماعية و طريقة اختيارها يؤثر في عملية التحليل بسبب الوجهة التي يعطونها للمعلومات التي يصرحون بها، فيزداد انحراف التحليل إذا جهل أو تجاهل الباحث تأثير هذه العوامل مجتمعة. (قاسيمي، 2017، 38-39 بتصرف)

و يتنامى التحليل السوسيولوجي في حركة الباحث من الكل إلى الجزء أو العكس وفق ما يراه مناسباً في تحليل المعطيات و تحصيل النتائج .

و على الرغم من ميل بعض الباحثين إلى التحليل الكلي باعتباره الأكثر مصداقية في تحليل الظاهرة لأنه يعطينا نظرة شاملة وواسعة، بينما التحليل الجزئي ينظر من زاوية ضيقة، و يركز أكثر على العوامل التحليلية الأكثر قربا من الظاهرة، غير أن البحث العلمي الموضوعي يحتاج إلى كليهما و في الوقت ذاته لنصل في النهاية إلى تحليل أكثر تكاملا. (قاسيمي، 2017، 43 بتصرف)

هذا و يرتبط التحليل بوصفه كليا أو جزئيا اعتمادا كذلك على طبيعة الموضوع و المقاربة النظرية المعتمدة وطبيعة المشكلة المعالجة، و عليه يقوم التحليل على وحدات صغرى و أخرى كبرى .

- خاتمة :

لا تستهدف عملية البحث مجرد استجماع للمعلومات و لكنها تعمل على خلق معرفة جديدة تساهم في تفسير الواقع و دحض الشك و البحث عن الحقيقة. و للبحث الاجتماعي خصوصيته التي تتعدى توليد المعرفة، ذلك أن الباحث الاجتماعي يسعى إلى فهم المشكلات و البحث عن سبل ضبطها و اقتراح الحلول الناجعة لها، فالباحث إذا هو الفاعل المباشر في إنتاج هذه المعرفة.

و يُعتبر التحليل السوسيولوجي في البحوث الاجتماعية الوعاء الجامع للمعرفة النظرية و التفكير الناقد بما شهده الباحث من الواقع المدروس، فالتحيت للنائج المتوصل إليها بناءً على التجربة و اعتمادا على الدليل الرقمي هو مكن روح العلمية للبحوث الاجتماعية، بما تحمله من خصوصية التنقيب على الحقائق الواقعية و التحقيق في أسبابها و البحث في خصوصياتها.

هذا و لا تتحكم في عملية التحليل قواعد منهجية مضبوطة، و لكنها عملية تستند استنادا مباشرا على كفاءة الباحث في بناء موضوع بحثه بناء معرفيا يتطور بتطور التفكير الناقد الذي حصَّله الباحث

نتيجة التعمق في فهم الموضوع، كما أنه آلية تسير إلى جانب الباحث مذ انطلاقه في بحثه، فتكون بمثابة الروح العلمية التي تنقل البحث من مجرد صورة ذهنية لخلفية مشكلة ما إلى معرفة وضعية مضبوطة .

***قائمة المصادر و المراجع المعتمدة :**

1. معجم المعاني الجامع : قاموس الكتروني، [/http://www.almaany.com](http://www.almaany.com)
2. رمون بودون و رينو فيول:(2010): الطرائق في علم الاجتماع ، ط 1، ترجمة مروان بطش ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان .
3. رمون كيبي و لوك قان كمبنهود:(1997): دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، ط 1 ، ترجمة يوسف الجباعي، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان .
4. سعيد سبعون:(2012):الدليل المنهجي في إعداد المذكرات و الرسائل الجامعية في علم الاجتماع، ط2، دار القصة للنشر ، الجزائر .
5. سوتيربوس سارانتاكوس:(2017):البحث الاجتماعي، ط1، ترجمة شحدة فارح ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، قطر .
6. عبد الغني عماد:(2002):البحث الاجتماعي: منهجيته، مراحل، تقنياته، منشورات جروس برس ، طرابلس ، لبنان .
7. موريس أنجريس:(2006):منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2 ، ترجمة بوزيد صحراوي و آخرون ، دار القصة للنشر، الجزائر.
8. ناجي بدر إبراهيم:(2003):الأساليب الكمية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر .
9. ناصر قاسيسمي:(2017):التحليل السوسيولوجي - نماذج تطبيقية -، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.